

## برميل الأمونتيلاادو

بقلم: إدجار آلان بو (1846)

ترجمة: عبّاد ديرانية

سبق لفورتيوناتو وأن آذاني ألف مرّة واحتملته في صمت. ولكنني سمعتُ أنّه سخر من اسمي عائنتي الذي اعتزُّ به وأفتخر، عائلة مونتريسور. فقطعْتُ عهداً على نفسي بأن أجعله يدفع الثمن لعلته: بأنني سأنتقمُ منه. وعليك أن لا تقترض الآن أنني بحثُ لإنسانٍ آخر بنيتي هذه، حيث إنني سأجعله يدفع الثمن، ولكني سأكونُ حذراً كلَّ الحذر. إذ عليّ أن أحقق انتقامي منه دون إيذاء نفسي بسببه، فالعملُ الخطأ لا يمكن إصلاحه بخطأٍ آخر. كما أنّ الخطأ لن يُصلح إلا لو عرف فورتيوناتو سبب العقاب الذي سينزلُ به، ولو عرف - كذلك - من الذي سينزلُ به هذا العقاب.

وأنا لم أعطِ لفورتيوناتو أيّ سببٍ ليشكُّ بي. فقد ظلمتُ أبتسم في وجهه، إلا أنّه لم يفهم أنني لم أكن أبتسم لرويته، وإنما لتفكيري بالعذاب الذي أعددتُه له، وبالانتقام الذي سيحلُّ عليه.

وكان فورتيوناتو رجلاً قوياً، يثير الرّهبة في النفوس، إلا أنّ فيه نقطة ضعفٍ واحدة: فهو يُحبُّ احتساء النبيذ، بل ويُحبُّ احتساء الكثير منه. ولهذا السّبب فقد كان يظنّ - مغتراً - أنه يعرفُ الكثير عن أنواع النبيذ الفارهة، وأنه خبيرٌ بما يكفي ليُميّز الواحد منها عن الآخر. وكنْتُ أنا، أيضاً، أعرفُ الكثير عن النبيذ الفاخر، ولذا فقد ابتعتُ أفضل ما وجدته من أنواعه. إذ أدركتُ أن هذا النبيذ هو ما سيمنحني انتقامي!

وفي أحد أيّام الربيع، قبل مغيب الشمس بفترةٍ وجيزة، التقيتُ فورتيوناتو وحيداً في الشارع. وقد تحدّث إليّ بنعومةٍ أكثر من المعتاد، إذ كان قد احتسى نبيذاً أكثر ممّا يمكنه احتماله. وبادرتُ للتصرّف معه وكأني مبتهجٌ برويته، فصافحته بحرارةٍ مثلما لو كان أعزُّ أصدقائي.

"فورتيوناتو! كيف حالك؟"

"مونتريسور! مساء الخير يا صديقي."

"عزيزي فورتيوناتو! أنا سعيدٌ فعلاً برويتك. كنتُ أفكرُ بك للتوّ وأنا أحتسي شيئاً من نبيذٍ الجديد، فقد اشتريتُ برميلاً كاملاً من نبيذٍ قبلي لي أنّه من نوع الأمونتيلاادو، ولكن.."

"أمونتيلاادو! مستحيل تماماً."

"هذا ما قلته لنفسي. فالأمر لا يبدو ممكناً. ولكني لم أجدك، لذا كنتُ ذاهباً - توّاً - إلى لوخريسي. فلو كان ثمة إنسانٌ يميّز أنواع النبيذ عن بعضها فهو لوخريسي. سيستطيع إخباري إذا ما.."

"لوخريسي؟ هذا الأبله لا يمكنه تفریق نبيذٍ عن الآخر!"

"ولكنهم يقولونُ عنه أنّه يعرف أنواع النبيذ مثلما تعرفها أنت."

"هراء! تعال معي. هيّا نذهب."

"نذهب إلى أين؟"

"إلى مخازنك بالطبع، لنحتسي النبيذ."

"لا يا صديقي، لا. أشعرُ بأنك لست بخير. والجوّ في مخازني باردٌ ورطبٌ عليك."

"لا أكثر، هيّا نذهب، فصحتي جيّدة بما يكفي والبرد لا يهّم. أمونتيلاادو! لا بدّ أن البائع خدعك بطريقةٍ ما. وتقولُ لي لوخريسي.. ها! لوخريسي لا يعرف شيئاً عن أنواع النبيذ، لا شيء بالمرّة."

وتوقّف فورتيوناتو عن الحديث ليجذب ذراعي ويسحبني معه إلى القصر الحجري الكبير الذي أسكنُ فيه، والذي توارثته عائنتي - عائلة آل مونتريسور - لمئات السنين. وقد أطعته، إذ لم يكن ثمة أحدٌ في المنزل. فقد أخبرتُ جميع خدمني منذ

البارحة أن لا يتركوا القصر اليوم، لأنني سأكون متغيّباً حتى صباح الغد، ولذا سأحتاج منهم أن يهتموا بالمنزل حتى عودتي. وكنت واثقاً من أن هذا سبب كافٍ، بالنسبة لهم جميعاً، لكي يفرّوا من المنزل حالما رؤوني أغانر.

تناولت مشعلين مضيئين من على الجدار وأعطيت واحداً منهما لفورتيوناتو، ومن ثمّ أرشدته إلى الممرّ الواسع الذي سنسلكه، حيث انحدرت الدّرجات الحجرية إلى قبو عمّه ظلامٌ دامس. وقد نزلت قبله، ومن ثمّ نبّهته إلى أن يلتزم الحذر عندما يتبعني إلى هذا السرداب الواقع عميقاً تحت الأرض، أسفل جدران قصري الحجرية القديمة.

ووصلنا بعد فترة إلى أسفل الدّرج، حيث وقفنا للحظة في صمت. كانت الأرضية باردة وصلبة، إذ كنّا الآن على أبواب المقبرة التي يرقد فيها أسلافي من عائلتي مونتريسور، والتي كنّا - أيضاً - نخبئ فيها أفضل ما لدينا من نبيذ، في هذا القبو البارد والمظلم ذي الهواء الساكن تحت الأرض.

ولم تكن خطوات فورتيوناتو متزنة، فقد أفرط كثيراً في احتساء النبيذ. وأخذ ينظرُ حوله بحيرة، في محاولة لتبين شيء ما من خلال العتمة الدامسة حولنا، حيث بدت أضواء مشاعلنا - في هذا المكان - تافهة جداً. لكن لم يطل الوقت حتى اعتادت أعيننا على الظلام، واستطعنا تبيين أكوام كبيرة من عظام الموتى متروكة قرب الجدران، وأما الحجارة التي صنّع منها الجدار نفسه فقد كانت شديد البرد والبَلل.

وكانت مصفوفة على الأرض، بين أكوام العظام، رفوف من زجاجات النبيذ، فاخترت منها واحدة من نوع ممتاز. ولم تكن لديّ أداة لفتحها، فضربتها بالجدار الحجريّ لأكسر غطائها، ومن ثمّ ناولتها لفورتيوناتو.

"هاك يا فورتيوناتو، احتس بعضاً من نبيذ ميدوك الممتاز، سيُساعدك على أن تبقى دافئاً. هيّا اشرب!".

"شكراً لك يا صديقي، سأشربُ نخب الموتى الذين يرقدون من حولنا".

"وأما أنا، يا فورتيوناتو، فسأشربُ نخب حياتك المُعمّرة".

"أه! يا له من نبيذٍ ممتازٍ بالفعل! ولكن ماذا عن الأمونتيلاذو؟".

"لا زال على مسافةٍ أمامنا، هيّا بنا".

ومضينا في المشي لمسافة أخرى، وأصبحنا الآن تحت مجرى النّهر، فأخذت قطرات من الماء تتساقط فوق رأسيّنا. وكُلّما تعمّقنا أكثر في الأقبية تحت الأرض ازدادت أكوام العظام حولنا.

"مخازنك واسعة ومتشعبة، قد يظن المرء أنها لا تنتهي".

"عائلتنا عريقة وثريّة يا صديقي، ولديها قصرٌ هائل، ولكن مقصدنا لم يعد بعيداً جداً. إلا أنني أراك ترتجف يا فورتيوناتو، توقّف! دعنا نعد أدرجنا قبل فوات الأوان".

"لا يُهم، هيّا نمضي للأمام. دعني فقط أحتسي المزيد من نبيذ الميدوك أولاً!".

وتناولت زجاجةً أخرى من بين أكوام العظام، وكان فيها نبيذٌ ممتازٌ آخر من نوع دو غريف، فكسرتُ غطائها لأعطيها له. ولم يكد فورتيوناتو يتناول الزجاجة حتى كرّعها مرّة واحدة. وبعدها ضحك بصوت عالٍ، وألقى بها خلف ظهره.

ومضينا أكثر وأكثر إلى أعماق الأرض، وفي النهاية وصلنا إلى خزانة كان الهواء فيها ثقيلًا وبارداً بحيث كادت مشاعلنا تنطفئ. وتكدّس أمام ثلاثيّة من جدران الغرفة ركام من عظام أخرى، وكانت كثيرة جداً بحيث فاق ارتفاعها ارتفاع رأسيّنا، وأما الجدار الرابع فقد أزيحت العظام من أمامه وبعثرت على الأرض. وكان في وسط هذا الجدار بابٌ يؤدي إلى خزانة أخرى، وهي عبارة عن غرفة صغيرة بعرض متر واحد، وارتفاع مترين ونصف، ولعلها بطول مائة وخمسين سنتيمتراً، فهي لم تكن - عملياً - أكثر من فتحة في الجدار.

قلتُ له: "امضِ قدماً. هيّا تقدّم، فنيبذُ الأمونتيلاذو هُنا".

ومشى فورتينواتو إلى الأمام بغير ثقة، وتبعتهُ على الفور. ولم تمضِ سوى لحظاتٍ - طبعاً - حتى وجد أمامه جداراً أسود، فوقفَ في مكانه للحظة وقد أخذته الدهشة. إذ تدلّت من الجدار أمامه حلقتان معدنيّتان ثقيلتان، وكانت إحداهما مربوطة بسلسلة حديدية قصيرة من أحد طرفيها، وفي طرفها الآخر قفل. ولم أترك لفورتينواتو وقتاً ليفهم ما كان يجري، فأطبقتُ الحلقتين المعدنيتين على يديه وأغلقتُ القفل. ومن ثمّ تراجعتُ إلى الوراء.

قلتُ له: "فورتينواتو، أنا أسف، لكن عليك أن تُلصقَ يديك بالجدار لتشعرَ بالماء الذي يتدفّق فوقنا. سأسألك مرّة أخرى رجاءً، هل تودّ الرجوع من حيثُ جننا؟ لا؟ إذاً سيكونُ عليّ أن أتركك هُنا. ولكن قبل أن أرحل، عليّ أن أقوم بكلّ ما يتوجّبُ عليّ القيامُ به".

"ولكن.. ولكن ماذا عن الأمونتيلاذو؟"

"أه نعم، أنت محقّ. الأمونتيلاذو".

وانحنيتُ، أثناء كلامي معه، لأبحثُ بين أكوام العظام التي على الأرض. وأزحمتُ بعض العظام جانباً فانبثقَ من بينها حجرٌ كنتُ قد أنزلتهُ من الجدار سابقاً. وعندها انهمكتُ بسرعةٍ في إعادة تشييد جدار الخزانة التي يقفُ فيها فورتينواتو حسيباً ومرتجفاً.

قال لي: "مونتريسور! ماذا أنتَ فاعل؟".

لكني تابعتُ عملي بصمت. سمعتهُ وهو يحاول سحب السلاسل التي كُبلَ بها ويهزّها بجنون. ولم تبقَ لي سوى بضعة حجارةٍ عليّ وضعها في أمكنتها.

"مونتريسور! ها ها. أنت مضحكٌ جداً بالفعل. سنضحكُ على مزحك مرّاتٍ كثيرةً بالتأكيد، ها ها، ونحنُ الاثنان نحنتسي النبيذ معاً. ها ها".

"بالتأكيد، سنضحكُ عليها ونحنُ نحنتسي الأمونتيلاذو".

"لكن ألم يتأخّر الوقت؟ ألا يحسُن بنا أن نعودَ أدرجنا؟ لا بُدَّ أنَّهُم سيلاحظون غيابنا. هيّا نعدّ".

"نعم، هيّا بنا نعدّ".

وقلتُ تلك الكلمات وأنا أرفعُ آخر حجرٍ عن الأرض.

"مونتريسور! لأجل الرّب".

"أنتَ محقّ. هذا لأجل الرّب".

ولم أسمع أيّ إجابة. صحت: "فورتينواتو! فورتينواتو!". ولم أسمع منه سوى صوتاً خافتاً يبكي من الخوف. ولم أجد قادراً على احتمال الموقف، فدفعتُ الحجر الأخير إلى مكانه بسرعةٍ لأغلقَ الخزانة عليه، ومن ثمّ أعدتُ صفّ العظام أمام الجدار في السابق. مضت خمسون سنةً الآن على آخر مرّةٍ مسّت فيها يدُ إنسانٍ هذه العظام. فلترقُد روح فورتينواتو هنا في سلام!